

الفصل السادس

مسك الختام في الأدب نحو النبي عليه

الصلاة والسلام

obeikandi.com

١- لما كان النبي @ رحمة الله للعالمين، ومنة الله على المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو @ أرحم بالناس من آبائهم وأمهاتهم؛ إذ يهديهم للحق، ويأمرهم بالخير، ويأخذ بأيديهم إلى جنة عرضها السموات والأرض، وهو الذي صرح المفاهيم المغلوطة وأرسى القيم المحمودة.

٢- إن هذه المنزلة العظيمة لرسول الله؛ تفرض على المسلمين آداباً كثيرة نحوه @ وفي هذا الفصل نعرف معاً بواعث هذا الأدب ومظاهره وأقسامه.

- إن بواعث الأدب مع النبي @ متعددة وكثيرة منها:

١- أن الأدب معه @ من لوازم الإيثار به ومحبته، وفي هذا المعنى قال ابن تيمية -رحمه الله-: إن قيام المدح والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله^(١).

٢- أنه من طاعة الله ومحبته وتعظيمه، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. وفي هذا المعنى قال ابن القيم -رحمه الله-: وكل حبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله @ وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله تعالى له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله تعالى له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله^(٢).

٣- ورود الأوامر الإلهية ببيان ذلك في آيات ذوات عدد، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) انظر: الصارم المسلول (ص ٢١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص ١٨٧)، ت/ شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴿[الحجرات: ٢]﴾، ويقول سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤- كونه @ أعظم الخلق منة على الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٥- شدة محبته لأمته وشفقته عليها كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ورأس الأدب مع النبي @ لا يكون إلا بمحبة صادقة تستوجب إتباعه في كل ما أمر واجتناب كل ما نهى عنه، واتخاذ @ قدوة في الظاهر والباطن، في السمات والعمل، في الخلق والمعاملة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وأما الأدب مع الرسول فالقرآن مملوء به، فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل جل جلاله، وتوحيد متابعة الرسول @ .

أما عن أدب الصحابة مع النبي @ فلقد كان لهم في ذلك الحظ الأوفر، فقد كانوا معه على أعلى رتب الأدب؛ يوقرونه ويعظمونه ويهابونه ويحبونه حباً ما أحبه بشرٌ لبشر، وقد شهد بذلك كل من رآهم أو سمع بهم .

-وهذا عروة بن مسعود الثقفي لما جاء النبي @ عند الحديبية ورأى أدب الصحابة مع الرسول الكريم @ وتعظيمهم وتوقيرهم له، رجع إلى قريش فقال

لهم: أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهُ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ؛ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ @ مُحَمَّدًا، وَاللَّهُ إِنْ تَنَحَّمَ نُحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. [البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان]

وإليك أمثلة أخرى من أدب الصحابة مع رسول الله @ :

١- ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ @ فَسَأَلَ النَّبِيَّ @ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ @ ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ @ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ @ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ @ : «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». [رواه البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦) ومسلم (١١٩)]

٣- روى مسلم عن رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ @ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». [مسلم (٤٨٩)]. وفي هذا الحديث حسن التأدب مع النبي @ بالسعي في خدمته، وفيه أيضًا صدق المحبة لرسول الله @ بطلبه مرافقته في الجنة وعدم العدول عن ذلك.

٤- ثبت في صحيح مسلم أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ @ وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. [مسلم (١٢١)].

إن الأدب مع رسول الله @ له ثلاثة أقسام هي:

- ١- أدب قلبي: وهو يتعلق بتصديقه والإيمان به @ وحبّه وتعظيمه وتوقيره.
- ٢- أدب قول: وهو ما يتعلق بالصلاة عليه @ ، والذب عن سنته، ورعاية الأدب معه بالقول.

- ٣- أدب فعلي: وهو يتعلق بحسن إتياعه @ فيما أمر ونهى مع اتخاذه قدوة وأسوة.

أولاً: الأدب القلبي:

وهو رأس جميع الآداب معه @ ، وأصله الإيمان به وتصديقه @ في كل ما جاء به عن الله تعالى، ومطابقة ذلك باللسان بأن يشهد أن محمداً رسول الله @ ، قال ابن تيمية -رحمه الله-: فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي @ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة (١). اهـ

قال ابن القيم -رحمه الله-: والإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول @ علماً، والتصديق به عقداً (أي: ينعقد عليه القلب)، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان؛ وكما له في الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده؛ والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين

(١) انظر: القاعدة المراكشية (ص ٢٤، ٢٥).

القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله، وبالله التوفيق^(١).

ومن الأدب القلبي محبته @ : وإنما يظهر آثارها بالطاعة والاتباع، فهذه هي العلامات التي تدل على ما في قلب العبد من محبة، ومحبة النبي @ من الإيمان، بل لا يتم الإيمان حقيقة إلا إذا كان النبي @ أحب إلى المرء من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، فقد روى أحمد والبخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ @ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ @ : «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ @ : «الآنَ يَا عُمَرُ» [أحمد (٢٩٣/٥)، والبخاري (٦٦٣٢)] وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ @ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

قال ابن رجب -رحمه الله-: فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال الحسن -رحمه الله-: قال أصحاب النبي @ : يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله هذه الآية.

(١) انظر: الفوائد (ص ١٠٧).

(٢) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وفي الصحيحين عَنِ النَّبِيِّ @ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ». [البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)] عن أنس رضي الله عنه فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ والمعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول @ ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عموماً، ولهذا كان من علامات وجوده حلاوة الإيمان؛ أن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وتحريم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عموماً، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه هوى نفسه؛ كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى ما جاء به الرسول @ من تقديم محبة الله ورسوله، وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها^(١).

ثانياً: الأدب القولي:

قال ابن القيم -رحمه الله- وهو يوضح هذا الأدب: من الأدب مع الرسول @ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ، فالتقدم بين يدي ستنه بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم؛ قال مجاهد -رحمه الله-:

(١) انظر جامع العلوم والحكم (ص ٣٨٩، ٣٩٠) باختصار.

لا تفتاتوا على رسول الله @. [ذكره البخاري في ترجمة باب تفسير سورة الحجرات تعليقا، وقال الحافظ في الفتح (٥٨٩ / ٨) وصله عبد بن حميد]

ومن الأدب معه @ أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به، أترى ذلك موجبا لقبول الأعمال ورفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوطها؟!

ومن الأدب معه @ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] وفيه قولان للمفسرين:

أحدهما: أنكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله؛ فعلى هذا المصدر مضاف إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول.

الثاني: أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا إن شاء أجاب وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنها البتة؛ فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم.

ومن الأدب معه @ ؛ أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط؛ لم يذهب أحد منهم مذهباً في حاجته حتى يستأذنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] فإذا كان هذا مذهباً مقيدا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه دقيقه وجليله، هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟! ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن الأدب القولي مع النبي كثرة الصلاة عليه @ :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال ابن كثير - رحمه الله -: المقصود من هذه الآية؛ أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلی؛ بأنه يثني عليه

عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي^(١).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم عليه؛ فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليماً لما نالكم ببركة رسالته، ويمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة^(٢).

أما عن حكم الصلاة على النبي @ فقد ذهب طائفة من العلماء منهم: الطحاوي والحلي إلى وجوب الصلاة على النبي @، واستدلوا بظاهر الأمر في الآية المتقدمة؛ فلأمر للوجوب، واستدلوا أيضاً ببعض الأحاديث الواردة منها: ما رواه البخاري في الأدب والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». [البخاري في الأدب (٦٤٦)، والترمذي (٣٥٤٥) وحسنه]

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب، وقال البعض: إنه إنما تجب الصلاة عليه @ في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية، ثم هي مستحبة في كل حال، وهو قول الحنفية حكاه الجصاص عنهم في أحكام القرآن^(٣).

للصلاة على النبي @ فضل عظيم، وذلك لفضل المصلي عليه @ ومكانته عند الله تعالى، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في «جلاء الأفهام» تسعاً وثلاثين فائدة^(٤) نكتفي منها بواحدة، وهي أن مَنْ صلى عليه مرة صلى الله عليه عشراً، فقد

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص ١٦١، ١٦٢).

(٣) أحكام القرآن عند تفسير الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.

(٤) انظر: جلاء الأفهام (٤٤٥: ٤٥٤).

روى مسلم رحمه الله عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ @ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». [مسلم (٤٠٨)]

أما عن الأدب العملي وهو ما يتعلق بعمل الجوارح، فمن الأدب مع النبي @ أن تنطلق الجوارح تبعاً لما جاء به، وهذا هو الدليل العملي على المحبة واعلم - رحماني الله وإياك - أن طاعة رسول الله @ واجبة أوجبها الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وجعل الهداية والرحمة في طاعته @ فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. طاعة النبي @ لا خيار للمسلم فيها؛ لأن مخالفة ذلك ضلال واضح، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- إن الاقتداء به @ أمر أوجبها الله تعالى قال عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال ابن كثير - رحمه الله -: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله @ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي @ في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأله @ ، ولهذا قال تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ اهـ.

واعلم أنه لا يخلو حال الناس فيما أمروا به ونهوا عنه، من فعل الطاعات

وَاجْتَنَابِ الْمَعَاصِي، مِنْ أَرْبَعَةِ أَحْوَالٍ:

١- فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَجِيبُ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيَكُفُّ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي. وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ أَهْلِ الدِّينِ، وَأَفْضَلُ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ. فَهَذَا يَسْتَحِقُّ جَزَاءَ الْعَامِلِينَ، وَثَوَابَ الْمُطِيعِينَ.

٢- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيُقَدِّمُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَهِيَ أَخْبَثُ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ. فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ اللّاهِي (١) عَنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَعَذَابَ الْمُجْتَرِي عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيهِ. وَقَدْ قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَخَافَةَ الدَّاءِ، كَيْفَ لَا يَحْتَمِي مِنَ الْمَعَاصِي مَخَافَةَ النَّارِ (٢).

٣- وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَجِيبُ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيُقَدِّمُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي؛ فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ الْمُجْتَرِي؛ لِأَنَّهُ تَوَرَّطَ بِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ سَلِمَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدِ الشَّهْوَةُ دِينَهُ، وَلَمْ تُؤْثِرِ الشُّبْهَةُ فِي يَقِينِهِ.

٤- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيَكُفُّ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ اللّاهِي عَنْ دِينِهِ، الْمُنْذَرِ بِقَلَّةِ يَقِينِهِ (٣).

إن مظاهر المتابعة الصادقة للرسول كثيرة منها

١- تعظيم النصوص الشرعية: وإجلالها وتقديمها على ما سواها وعدم هجرها، وعدم تقديم غيرها عليها، واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، وتعلمها وحفظها وفهمها وتدبرها والعمل بها والتحاكم إليها وعدم معارضتها، وهذا من أبرز مظاهر الاتباع، وقد مر بك ما كان يفعله السلف مع حديث رسول الله @ .

(١) اللّاهي أي: المنشغل.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٤٨).

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين للهاوردي (ص ١٠٣-١٠٥).

٢- الاقتداء بالنبي @ ظاهراً وباطناً: وهو أن يجرد العبد متابعته لرسول الله @ ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه، والعمل بما جاء به؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي ولا سياسي... إلخ، إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من أحكام وتعاليم، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة^(١).

قال ابن القيم -رحمه الله- في كلام له على قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]: وهو دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أموراً منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب له من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحب إليه منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان. ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه. ومنها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول @ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول @ الذي هو أولى به منها^(٢).

٣- تحكيم الشرع والتحاكم له: هذه هي السمة الفارقة بين الحريص على اتباع الحق وبين من اتبع هواه بغير هدى من الله، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ

(١) انظر: اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين ضمن كتاب المتتدي «حقوق النبي بين الإجلال والإخلال» (ص ١١٧).

(٢) انظر: زاد المهاجر إلى ربه (ص ٢٩-٣٠).

وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿[النساء: ٥٩]،
 وقال عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
 يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ومقتضى ذلك
 أن يحكم ما جاء به الرسول @ في الكتاب والسنة ويتحاكم إليهما ثم يرضى
 بحكمهما؛ فيجعل ذلك هو الميزان الذي يزن به الاعتقادات والأقوال والأفعال
 والتروك، فما وافقها قبله وعمل بما فيه، وما خالفها رده وإن جاء به من جاء.
 أخي القارئ... بعد هذا العرض الموجز للأدب مع رسول الله @ سل
 نفسك هذا السؤال:

أين أنت أيها المسلم من التأدب مع النبي @ قلباً وقولاً وفعلًا؟
 يا مسلمًا تدعي الإسلام مجاناً هلا أقمت على دعواك برهاناً
 جعلني الله وإياك ممن يقتدي برسوله @ ظاهراً وباطناً، ومن يحشر معه
 @ في جنات النعيم.
 وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. صحيح البخاري: دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة-جامعة دمشق.
٢. صحيح مسلم: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
٣. سنن الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥.
٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
٥. سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٦. سنن ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت.
٧. سنن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٨. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٩. سير أعلام النبلاء: للذهبي أشرف على تحقيقه وتخرير أحاديثه: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.
١٠. سنن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثم (ت ٨٠٧هـ)، دار الفكر-بيروت، ١٤١٢هـ.
١٢. المستدرك للحاكم (ت ٤٠٥هـ)، وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت.
١٣. مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مؤسسة قرطبة-القاهرة.

١٤. مسند أبي بكر البزار (ت ٢٩٢هـ)، وهو المسمى بـ«البحر الزخار»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، طبعة ١٢٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٥. المعجم الأوسط للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين-القاهرة، ١٤١٥هـ.
١٦. المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم-الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
١٧. محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى - أحمد ديدات - ترجمة وتعليق: محمد مختار.
١٨. الرحيق المختوم للمباركفوري.
١٩. هذا الحبيب يا محب للجزائري.
٢٠. تفسير الظلال لسيد قطب.
٢١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، عدد الأجزاء: ٤.
٢٢. الفوائد، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ١.
٢٣. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، عدد الأجزاء: ١.
٢٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، عدد الأجزاء: ٣.
٢٥. جامع العلوم والحكم، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١.
٢٦. الأدب مع الرسول الأعظم - ط وزارة الأوقاف.